

أشأت مما نُشر وحقّق، مع وقفة على كتاب

"التذكرة" لأبي حيّان الأندلسي / بتحقيق د. عفيف عبدالرحمن

د. إبراهيم السامرائي

جامعة صنعاء

قد أكون أقرب إلى الحق إذا ما قلت: إن معرفة أدب العرب في جاهليتهم وإسلامهم وسائر عصورهم شيء لا ندركه إلا بمعرفة هذه اللغة الإسلامية الشريفة.

وإذا قيل: إن الشعر ديوان العرب، فحقيق بنا أن نقول أيضاً: إن التنزيل العزيز هو الحكمة العالية والأدب الرفيع الذي اهتدى به العرب وسائر الأمم التي استظلت براية الإسلام. ولا أدري كيف ساغ للغويين الأوائل أن يتصيدوا الشوارد مما قالته العرب في أشعارهم وأراجيزهم يستدلون بها على قاعدة أقروها، ومعنى يأخذون منه المثال الذي جرى عليه المعربون في ترسلهم وأدبهم.

وإذا كان لهذه العربية أن تقطع في تاريخها الأحقاب الطوال، فلا بد أن نقف على ما عرض لها حين كثر النشر في عصرنا، وشمل المعارف عامة، فمن ترجمة إلى تصنيف إلى تحقيق نصّ قديم، وذلك أنهم قصرُوا في فهم عربيّة التنزيل العزيز.

ومن غير شك أن أولى أدوات الناشر الجديد ينبغي أن تكون معرفة المادة التي يضطلع بنشرها، سواء أكانت ترجمة لمادة غريبة أو تصنيفاً أو تحقيقاً لنصّ

قديم. فإن لم يملك الناشر هذه "المعرفة" عرض له وهم كثير لا سبيل إلى رَأْب الصدع فيه.

ولنبداً بالترجمة فنقول: على المترجم أن يعرف المادة، ويكون له فيها اختصاص أو ما يشبه ذلك، ثم لا بدّ من معرفة تامة وافية باللغتين الأولى التي ترجم منها، والثانية التي ترجم إليها.

أقول: فإن لم يتيسر للمترجم معرفة مادته على النحو الذي أشرنا إليه، كان الغلط، وكان بُعد عن الحقيقة، وكان تزيّد مرفوض.

ومن ذلك مثلاً:

أن أحد المترجمين قد ترجم "تقريراً" في عشائر العراق عن الإنكليزية، وهو كتاب كبير، فجاء فيه عشيرة "الجرّاه" كذا!

ولا نعرف في عشائر العراق عشيرة بهذا الاسم، ولم يكن الكاتب الإنكليزي، صاحب التقرير، قد أخطأ في ضبط العلم، ولكن المترجم العراقي هو المخطئ، و"الجرّاه" هذا هو "الجرّاح"، ولو أدرك المترجم هذا الأمر، وكان على علم اجتماعي تاريخي بعشائر العراق لاهتدى إلى أن المؤلف أراد "الجرّاح"، وبسبب عدم وجود الحاء في الإنكليزية يُصار في رسم الكلمات العربية التي فيها هذا الحرف إلى نظيره الصوتي، وهو الهاء، فيضلل بذلك المترجم غير الفطن، والذي لم يتقن مادة ما يترجمه، كما حدّث لصاحبنا هذا مع أنه عراقي يفترض فيه هذه المعرفة الاجتماعية.

أقول: لقد أدرك هذه المشكلة المستعربون الأعاجم غربيون وسواهم فوضعوا نقاطاً وعلامات أخرى فوق الحرف أو تحته ليتوفّروا على الأصوات العربية التي لا توجد في لغاتهم.

وهكذا وصلوا إلى صوت الحاء برسم الحرف (H) وتحتة نقطة، فإذا كان خاءً رسم هذا نفسه مع خط صغير تحته (Ḥ). وهكذا كانت صنعتهم في الأصوات العربية

الأخرى التي ليس لها نظائر في لغاتهم، وهذا معروف منذ زمان طويل في كتابات المستعربين والمستشرقين عامة.

ومثل هذا ما عرض لأحدهم في ترجمة كتاب في "ثورة العشرين" في العراق، فقد جاء فيه: وكان الشيخ "زاري" كذا!

أقول: لو كان المترجم غير عراقي لالتمست له وجهاً للعدر، ولكنه عراقي فلا عذر له في ذلك، وكيف يكون الشيخ "ضاري" وهو من المشاهير في الثورة العراقية، وكان له مع القائد الإنكليزي "جَمَن" موقعة، قتل فيها الشيخ "ضاري" خصمه الإنكليزي. ثم كيف جهل المترجم هذا الأحداث فصيرّ الضاد زايًا، ألم يكن له معرفة يسيرة بالأعلام السائرة في العراق؟

أقول: كان عليه أن يعرف أن "ضاري" من الأعلام العربية في العراق، ولا سيما لدى العشائر، وليس "زاري" من الأعلام العربية في عصرنا في عامة البلدان العربية، لقد نقل هذا المترجم ما وجدته مرسومًا في كتاب عن "ثورة العشرين" ألفه روسي أعجمي، وقد رسم هذا ما حقه ضادًا بالزاي، فجاء في كتابه بالروسية "زاري"، وهو أمر غريب عرض للمترجم الذي جهل هذه القضية.

أقول: لقد سمع الأوائل الأعلام الأعجمية إبان الحروب الصليبية وقبلها، فأعطوها صورة أخرى، وغيّروا من أصواتها لتجيء مناسبة للعربية، فقالوا في "رودريك": "لذريق"، وقالوا في "الكسندر": "اسكندر" ونحو ذلك، وهو كثير.

كان ذلك دأبهم في تعريب الكلم الأعجمي، وليس ذلك جهلاً منهم كما جرى للترجمة في عصرنا.

وقد يحزّ في نفسك أن تجد أحياناً من أهل العربية في عصرنا يترجم رسالة في "تاريخ اللغات السامية" عن اللغة الألمانية فتقرأ فيها:

"شَنَفْرَة" و"سوقوطري"، والناظر إلى الكلمتين لا يشك فيهما، ولا يختلج في ذهنه
أنهما مصحفتان عن أصل عربي معروف، ولا أدري كيف يجهل مختص بالعربية
الشاعر الجاهلي "الشَّنْفَرَى" صاحب "اللامية" المشهورة!

ثم كيف لي أن ألتمس له عذراً وهو يجهل جزيرة "سُقَطْرَة" من الجزر العربية في
البحر العربي جنوبي بلاد العرب! والجزيرة مما وردت في "معجم البلدان" وما زالت
معروفة بهذا الاسم.

ولنعرض لشيء آخر يصار إليه من عدم معرفة الأصوات الأعجمية، فلا
يهتدي الناقل أو المترجم إلى الصوت الصحيح.

ومن هذا أن أحداً قد صنف في "جغرافية شبه جزيرة العرب"، ولم يكن من أهل
شبه الجزيرة العربية، فاستعان بكتاب ألماني، كما يبدو ممّا وقع فيه من الغلط، فكان
من ذلك أنه أثبت اسم موضع معروف فكان "جبرين" بالجيم، فأحدث اسماً لا وجود له
في أسماء مواضع بلاد العرب. ولو كان هذا من أهل الاختصاص، أو كان له صلة
ما ببلاد العرب لعرف أن الاسم الصحيح هو "يبرين" التي وردت في الشعر القديم
كثيراً، والتي ذكرها أهل البلدان عامة.

لقد قَرَطَ من هذا المترجم هذا الغلط الكبير بسبب أنه نظر في أصل ألمانيّ،
والألمان يرسمون الحرف "J" ينطقونه ياءً، فهم يكتبون "Jabrin" وينطقونها "يبرين".

لقد ظن هذا الناقل المترجم الذي لم يصرح أنه ترجم عن الألمانية أنه أثبت
الصواب وأن الحرف "J" في الألمانية ينطق بها كما ينطق في الفرنسية أو الإنكليزية،
فأثبت الجيم، وحقها الياء.

أقول: إذا كان الأوائل قد عبثوا بسبب الإعجام والإهمال فكان "المصحّف"
و"المشتبه"، فرما وجدنا لهم سعة من عذر بسبب نقص الرسم، أما اليوم فلا عذر
لهؤلاء المعاصرين بعد أن عرفت الأصوات وتميّزت.

ولما كنّا بصدد الكلام على ما آلت إليه الترجمة، وما فرّط فيه المترجمون،
يحسن بنا أن نمضي قليلاً في هذا السبيل فنقول:

إن أحداً من أهل العلم قد ترجم كتاباً ألمانياً في "تاريخ الأدب العربي" فوقع في
شرّ من هذه الترجمة، فقد تحول "أنطون صالحاني" اليسوعي إلى "أحمد الصالحاني"
وكأنه مسلم بهذه التسمية التي أعيرت إلى العلم النصراني، بسبب جهل المترجم.
إن ناشر ديوان الأخطل هو "أنطون صالحاني اليسوعي"، وليس "أحمد
الصالحاني" كما أثبت المترجم.

وتفصيل هذا الخطأ الكبير أن المصنف الألماني وهو (كارل بروكلمان) يرمز
للإسم الذي يرد في كتابة بحرفه الأول، ولما كان (أحمد) من الأسماء العربية
الإسلامية يتردد في أسماء المصنفين المسلمين، رمز له بالحرف "A" ومثل "أحمد"
سائر الأسماء التي تبدأ بالهمزة قد رمز لها بالحرف نفسه.

وقد فهم المترجم للكتاب خطأً أن الحرف "A" هو دائماً رمز لـ(أحمد)، ثم لما
جاء الاسم "Salihāni" وقبله الحرف "A" أثبت في الترجمة: (أحمد) ثم زاد الألف
واللام ليجعل هذه النسبة جارية على الفصاحة فكان "أحمد الصالحاني".

وهذا عجب من العجب أن يتحول الرجل إلى غيره!!

ومثل هذا ما عرض لمؤلف آخر كتب كتاباً في "تاريخ العرب قبل الإسلام"
فجاء إلى كلمة (الأحابيش)، وهم في الأصل جماعة من العرب اجتمعوا وتخالفوا عند
جبل (حبشي) من مواضع بلاد العرب المعروفة.

لقد حمل الأستاذ المؤرخ كلمة (الأحابيش) على (الأحباش) أهل بلاد الحبشة
في مصطلح العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وفاته أن (الأحابيش) لا تتصل بالأحباش
في قليل أو كثير.

وقد كان الخطأ متأثراً من الأصل الألماني الذي يأخذ عنه المؤرخ العربي، وذلك أن الأستاذ الألماني قد أخطأ في فهمه "للأحابيش" فجرى على غلظه المترجم الذي أفاد منه.

أقول: إذا كنا لا نؤاخذ الألماني الأعجمي مؤاخذه شديدة، فإننا لشديدي المؤاخذه للمترجم الذي لم يشر إلى أنه مترجم فزلّ بزلّة صاحبه.

إن الكثير من المصنفين في عصرنا يخفون أمر الترجمة فيظهرون أنهم ألفوا وصنفوا، ولم يأخذوا عن مؤلف أعجمي. ومن هنا يتحملون تبعه الخطأ الذي أوقعهم فيه المؤلف الأعجمي.

أعود فأقول: إن الدارس للتاريخ الإسلامي ينبغي له الإلمام بكل ما يتصل بهذه المواد التاريخية من حواش في الأدب واللغة، وإلا فقد عرض له وهم كثير.

وقد وقع المستعربون والمترجمون في خطأ بسبب من فهم قاصر، ألا ترى أن المستشرق "درنوبرخ" قد أشار إلى كتاب "الأنباري" أبي البركات، وهو "جدل الأعراب" فقرأه "الأعراب" بفتح الهمزة، وترجم موضوع الكتاب "بمناقشات وجدل الأعراب" أي البدو.

وبسبب من إساءة القراءة، ظن المستشرق الفرنسي (ر. بلاشير) أن قوله تعالى "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" جملة استفهامية، وهو استفهام مع الإنكار، فكانت ترجمته الفرنسية للآية مشيرة إلى هذا الاستفهام مع النفي، وحقيقة الأمر في الآية إثبات وتقرير، والمعنى: إن بذكر الله تطمئن القلوب.

ومما ورد في نشر النصوص القديمة أن الناشر أو المحقق قد يجتهد اجتهاداً خاصاً فيغيّر تبعاً لاجتهاده في قراءة النص.

ومن ذلك ما جاء في إحدى حواشي "تاريخ ابن الكازروني" للدكتور مصطفى جواد - رحمه الله - على بيت أبي نواس:

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَعَنَّ مُحَمَّدًا فَظَهْرَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ

أقول: هذا هو نص البيت في "تاريخ ابن الكازروني"، وكذلك في "ديوان أبي نواس" وسائر الكتب التي ورد فيها البيت المذكور.

غير أن الدكتور مصطفى جواد قال: والصواب:

فَظَهْرُهُنَّ عَلَى "الرِّحَالِ" حَرَامٌ

و"الرحال" جمع "رخل" وليس "الرجال" جمع "رجل"، والمعنى: يجب أن تعرَى المطي من "الرحال".

ومثل هذا الاجتهاد والنظر الذي يفضي إلى التزام قراءة خاصة ما ذهب إليه أحد المتأدبين إلى أن كتاب "العيون والحدائق" للمؤلف المجهول قد يكون أوجه لو كان "العيون الحدائق"، بمعنى "العيون المحدقة" أو "المحدقة". وكأن صاحب هذه القراءة قد استظهر بتكملة اسم الكتاب التي هي "في أخبار الحقائق" فالعيون محدقة في أخبار الحقائق.

ولا تخلو هذه القراءة من تعسف. والذي أراه أن "العيون" هي عيون الماء، وهي لصيقة بـ"الحدائق" كما هي الحال في لغة التنزيل، فالجنات في كثير من الآيات مع العيون "في جنات وعيون".

ومثل هذا قراءة أحد المتأدبين للبيت:

الشمس إِيَّاكَ إِلَّا أَنَّهَا امْرَأَةٌ والبدر إِيَّاكَ إِلَّا أَنَّهُ قَمْرٌ

وجعل "إِيَّاكَ" في البيت مثل "إِيَّاكَ" في "المسألة الزنبورية" التي ذكروا أنها وقعت بين سيبويه والكسائي، وهي على رأي سيبويه:

قالت العرب: العقرب أشدُّ لسعةً من الزنبور، فإذا هو هي. وهي على رأي

الكسائي:

..... فإذا هو إياها.

وكان ما كان من هذه الحكاية المشهورة في كتب اللغة والأدب.

أقول: ذهب هذا المتأدب إلى هذا مفيداً أن "إيّاك" في البيت مثلها في حكاية سيبويه والكسائي.

وقد اعترض على هذه القراءة وعلى توجيهها، فقال أحدهم: إن "إيّاك" مصحفة، والصواب:

الشمس "أدّئك" إلا أنها امرأة والبدر "أدّاك" إلا أنه ذكّر

والوجه بيّن ظاهر.

وهذا الاجتهاد في إثبات التصحيف يدل على مبلغ من إدراك المعاني الصحيحة، وفقدان هذا الاجتهاد أضاع الكثير من الصواب.

قلت: ومن تمام آلة المحقق أن يُلمّ بالتاريخ لتسلم له العبارة معنىً وروحاً، وإلا ضاع علم وجُهل حقائق، ولنضرب لذلك مثلاً فنقول:
جاء في نص من "العثمانية" للجاحظ ما معناه.

إن من شرائط "الإمامة" الفروسية (كذا)!

قلت: وهذا يعني أن خليفة المسلمين لا بد له من أن يكون صاحب فروسية. ولم يرد في أقوال الفقهاء وأهل العلم شيء من ذلك.

وعلق أحدهم على سبيل المزاح فقال: إذا كان هذا قد جرى للخليفة، في العصور الإسلامية القديمة فقد يكون من تمام رئاسة الجمهوريات في عصرنا أو الملوك في بلادنا الإسلامية حياة "سيارة" جميلة، فكما لا يجوز أن يُنصّ على شيء من هذا، كذلك لا يمكن أن من شرائط "الإمامة" الفروسية".

أقول: لقد عرض لهذا النص التصحيف. بسبب سوء رسم الكلمة، الصواب "القرشية" أي أن الإمام ينبغي أن يكون من "قريش" عملاً بما قيل في الحديث الشريف "الأئمة من قريش".

وعلى هذا كان ينبغي أن يكون المحقق ذا علم بالمسائل التاريخية.

ومن هذا ما وجدته في "المثل السائر" لضياء الدين ابن الأثير أنه قال ما معناه: وقال شاعر متأخر هو المعري (كذا)، وكان ذلك في جميع طبعات "المثل السائر".

قلت: كيف يكون "المعري" وهو من شعراء القرن الخامس الهجري متأخراً لدى ابن الأثير، وهو من رجال القرن السابع الهجري؟ لم يفتن المحققون لكتاب "المثل السائر" لهذه الحقيقة التاريخية.

وقد كان لي أن حققت كتاب "المثل السائر" على تسع نسخة مخطوطة وذلك بعض متطلبات درجة "دكتوراه الدولة" في جامعة باريس "السوربون"، ولما وقفت على العبارة المشار إليها في المطبوع من "المثل السائر" أنكرت ذلك، فرجعت إلى المخطوطات، وإذا أنا واجد في شيء منها العبارة الصحيحة، وهي أن "الشاعر المتأخر هو الغزي" وليس "المعري" كما ورد في "المطبوع" وبذلك ظهرت الحقيقة.

أقول: كان على المحققين للكتاب أن يفتنوا لهذه المسألة التي بدا خطؤها واضحاً.

ومن هذا ما جاء في "نسب قريش" للزبير بن بكار في الكلام على "مصنفاته" في مقدمة المحقق.

كتاب اللغة (كذا) للموقِّق وهو "الموققيات".

أقول: في هذه العبارة ما يوحي أنها غير مستقيمة، فكيف يكون "كتاب اللغة" للموقِّق؟ الخليفة العباسي، ثم ورد: وهو "الموققيات" أي اسم الكتاب.

وصواب العبارة:

كتاب ألفه (أي الزبير بن بكار) للموقّق (أي الخليفة) وهو "الموفقيات". وأضيف أن "الموفقيات" قد نشره وحققه الدكتور سامي مكي العاني، وكان من جملة منشورات وزارة الأوقاف في العراق.

وقد نقف في التحقيقات العلمية على أن نفرأ من المحققين لم يضطلعوا بصنعتهم، فلم يعرفوا طرائق النساخ القدماء، فأثبتوا ما وجدوه في المخطوطات، فكان من ذلك أن "الحارث" و"القاسم" من الأعلام العربية قد تحوّلوا إلى "الحَرث" و"القسم" وكأنهما من الأعلام العربية، ولم يُسمَّ العرب بهما، ولم يفتن بعض المحققين إلى أن بعض النساخ قد جروا في نساختهم على طريقة "المصحف" فأدت صنعتهم إلى ما أدت إليه لدى المحققين الذين خفي عليهم هذا الأمر.

ولا بد لي أن أفّ وفتة خاصة على تصحيف يكشف أن المحقق لم يُلمَّ بالمادة التاريخية إماماً يعصمه من الوقوع في الخطأ، وذلك ما وقع في تحقيق "شرح نهج البلاغة" لابن أبي الحديد، لقد أورد فيه المحقق كنية لأبي بكر الصديق وهي "أبو الفضيل".

أقول هذا ما وقع فيه المحقق الذي اخترع هذه الكنية، وهو ينظر باحترام إلى أبي بكر الصديق، والذي في الأصول المخطوطة التي اعتمدها في التحقيق "أبو الفضيل"، و"الفضيل" هو البكر أي ابن الناقة، وهي الكنية التي ذهب إليها أهل الردّة الذين قاتلهم أبو بكر، وقد عدلوا عن الكنية الأصلية وهي "أبو بكر" على ما يرادفها في المعنى فذهبوا إلى "أبي الفضيل" إرادة التحقير والنبز.

إلى هذا أشار حسان بن ثابت لقول أهل الردّة "لا نطيع أبا الفضيل" وأرادوا "أبا بكر" فقال حسان مشيراً إلى هذا ومدافعاً عن "الصديق".

ما البكر إلا كالفصيل وقد ترى أن الفصيل عليه ليس بعار

إِنَّا وَمَا حَدَّ الْحَجِيحَ لِبَيْتِهِ رُكْبَانٌ مَكَّةَ مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ
نَفْرِي جَمَاعِمَكُم بِكُلِّ مَهَيِّدٍ ضَرْبِ الْقُدَارِ مِبَادِي الْأَيْسَارِ
حَتَّى تَكْنُوهُ بِفَحْلٍ هُنَيْدَةٍ يَحْمِي الطَّرُوفَ بِأَزْلِ هَدَارِ

أقول: وقد بقيت الكنية "أبو الفصيل" في كتب المناوئين لأبي بكر من الشيعة
ومن والاهم من الفرق، وقد وردت في "شرح نهج البلاغة" في الكلام على الظروف
التي وقعت فيها حروب الردة، وما كان من أثر ذلك في انقسام المجتمع الإسلامي
بين مؤيد ومناذب لأبي بكر.

لقد وقف محقق "شرح نهج البلاغة" فلم يفتن إلى الحقيقة التاريخية التي سببت
هذه الكنية، وحقيقة دلالتها على النبز، فظنها من غلط الناسخ فأعجم الصاد المهملة
فصارت ضاداً فأثبت "أبا الفصيل" وهو مطمئن إلى صنعته التي غيرت الكلمة التي
تومئ إلى الحقيقة التاريخية وهو في صنعته هذه مدفوع إلى احترام الخليفة أبي بكر -
رضي الله عنه- ولو أنه عرف الحقيقة التاريخية لعدل عن فعلته هذه.

ومن هذه الشذرات ما قرأته لأحدهم، وهو في حديثه عن "الفكاهة" عند العرب
الذي زعم فيه: أن النحاة الأوائل كيونس بن حبيب، وأبي زيد الأنصاري، والكسائي
وغيرهم ممن بلغت عدتهم عشرين نحوياً كما ورد في "فهرست" ابن النديم كانوا قد
صنفوا في "النوادر".

لقد ظن صاحب "الفكاهة" هذا أن "نوادير" النحويين شيئاً من بضاعته المزجاة
في "الفكاهة" و"الظروف والنكات والأضاحيك" ولم يهتد إلى "النوادر" في اصطلاح
أهل العربية التي تشمل الغريب والأخبار اللغوية ذات الدلالة الخاصة المفيدة، مما
أخبر عنه الأعراب من أوابدهم وأخبارهم وشواردهم.

أقول: كان على هذا الدارس المعني بالرجال أن يكون له حظ من العربية
يعصمه من الوقوع في وهم كالذي عرض له.

ومن هذه الأوهام التي تعرض للدارسين ما وقع لأحدهم وهو يقدّم لكتاب "المقابسات" الذي اضطلع بتحقيقه وإخراجه في نشرة جديدة، وهو من كتب أبي حيان التوحيدي المشهورة، لقد جاء في "مقدمة" هذا المحقق كتاب "ديوان الأدب" للفارابي، وظن أن الفارابي هذا هو الفيلسوف أبو نصر صاحب كتاب الألفاظ وكتاب الحروف. والحقيقة أن صاحب "ديوان الأدب" هو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، وهو خال الجوهري صاحب "الصاحح".

أقول: وكان على المحقق أن لا يؤخذ بالشهرة فيطمس الحقيقة فيخلط بين علم وآخر اشتراكاً في الاسم أو الكنية أو اللقب.

وقد عرض هذا الوهم كثيراً للمعنيين بالرجال فكان خلط كثير في "كشف الظنون" بحيث يستطيع الدارس أن يؤلف من هذا رسالة لطيفة، وقد عرض شيء من هذا للزركلي في "الأعلام" فالذين اشتهروا بـ"الحلي" خلق كثير، ومن شأن هذا أن يحدث اضطراباً لدى غير المعنيين بالأعلام التاريخية العراقية، وقد وقع شيء من هذا في "الأعلام".

وأكثر منه ما وقع في "معجم المؤلفين" لعمر كحالة، وقد حدثني أحد أدياء اليمن أن طائفة كثيرة قد ترجم لها كحالة مرتين أو ثلاث مرات لاشتغالهم بلقب معروف قد يتغير فيذكر المترجم بشهرة له كالنسبة إلى المدينة أو القبيلة، وهكذا يأتي العلم ثلاث مرات، ولم يفتن صاحب "معجم المؤلفين".

وقد عرض هذا لأحد الثقات في "الفهرسة" فجعل الكتب التاريخية التي ألفها الدكتور شاكر مصطفى لمؤلف آخر هو الدكتور شاكر مصطفى سليم العراقي المتخصص في علم الاجتماع، وأما الأول فهو سوري من أساتذة التاريخ الإسلامي.

أقول: كان على "المفهرس" توخي التدقيق والضبط لئبتعد عن الخلط، لم يفتن مفهرسنا الفاضل أن شاكر مصطفى العراقي قد اشتهر باسمه الثلاثي وهو "شاكر

مصطفى سليم" في حين اشتهر الأول، وهو سوري الجنسية باسمه واسم أبيه "شاكر مصطفى".

ومما جاء من أسماء الكتب كتاب "العبر في خبر من عَبر" للذهبي، وهو من مطبوعات الكويت في سلسلة كتب التراث التي نشرتها وزارة الإعلام، وكنت قد رأيت من أصول الكتاب "مخطوطة باريس" وفيها جاء العنوان "العبر في خبر من عَبر" بالعين المهملة، وليس "عَبر"، كما أثبتته محقق المطبوع.

أقول: والذي دفع محقق الكتاب المطبوع في الكويت أن يثبت "عبر" ويستبعد الفعل "عَبر" ما هو شائع ومعروف في عصرنا من معنى "عَبر"، فالغابر في العربية المعاصرة هو القديم.

وليس "الغابر" في العربية هو القديم، والغابر هو الباقي والدائم، ومن هنا ساغ لأهل اللغة حملة على الضدّ، ومن هذا المعنى، وهو الباقي والدائم، وجاء في قوله تعالى: "إلا امرأته كانت من الغابرين" ٨٣ سورة الأعراف.

وعلى هذا كان الذي أثبت في عنوان مخطوطة باريس صحيحاً، وله وجه مقبول في العربية، فالعابر بالعين المهملة هو الذاهب، وكأن الذهبي حين أثبت الفعل "عَبر" أراد التجنيس، والتجنيس من المحسنات المستملحة في عصر الذهبي.

وذهب صديق فاضل من أهل العلم إلى أن الشائع من كتب ابن الأثير عز الدين صاحب "الكامل" كتاب عرف بـ"أسد الغابة في معرفة الصحابة" و"الأسد" جمع أسد..

قال صاحب: الصواب "أسد الغابة" على الأفراد، وهذا يعني أن "الكتاب" بالقياس إلى معاجم الصحابة متفرّد وجيد يفوق سائرهما في خصائصه ومحاسنه، وهو في هذا كالأسد في الغابة الذي وصف بـ"ملك الوحوش".

والإلا، فكيف يوصف الصحابة - رضوان الله عليهم "بأسد في الغابة" ثم كيف يوصف جماعة الصحابة وهم خلق كثير بـ"أسد" وهو جمع أدنى العدد، وكان ينبغي في هذا السياق أن يوصفوا بالجمع الكثير وهو أسود"؟ ثم كيف لنا أن ننعت الصحابة، وهم أهل فضل وعقل وكمال، بأسود الغاب؟ وإذا كان أهل العلم بالعربية قد أدركوا أن المعربين قد صحفوا حين قالوا: "إن الأمر كالشمس في رابعة النهار" وأن الصواب هو "رائعة النهار" فذاك يعني أن الرسم للحروف العربية قد حمل الضيم على هذه اللغة، وأن جمهرة كبيرة من الكلم المصحّف قد اندس في متن اللغة، فلم يفتن له المعربون، ولعلك تلمح شيئاً من هذا في شيء من القراءات الشاذة التي استنكرها أهل العلم، وإني لأعتبر وأفيد من قولة أبي عمرو بن العلاء في قوله تعالى: "إن هذان لساحران" فقد أثر عنه أنه قال: أبرأ إلى الله أن أقرأ "ان هذان". ومما يحسن أن أختتم به هذه "الأشآت" ما قرأته في ترجمة أحد النحويين من كتاب "طبقات ابن قاضي شهبة" جاء فيه:

أنه "أي المترجم" كان كوفياً بصرياً.

أقول: لقد نقل المحقق ما وجده في الأصل المخطوط، ولم يشك فيما نقله ولا تدبره، ولو كان له ذلك لسأل نفسه: كيف يكون المترجم كوفياً بصرياً؟

لقد صنف الأوائل النحاة فقالوا: هو بصريّ المذهب، كما قالوا في آخر: هو يأخذ بمسائل الكوفيين، أو أنه كوفيّ المذهب، كما قالوا فيمن أخذ عن المذهبيين: إنه يخلط بين المذهبيين.

وعلى هذا لم يرد في كلامهم أن أحد النحاة كان كوفياً بصرياً.

وحقيقة عبارة هذا المحقق الذي نقل الكلام الذي صحّفه ناسخ المخطوطة وهي: أنه (أي المترجم) كان كفيفاً بصيرياً فانظر كيف عبث الناسخ فسرى عبثه إلى "المحقق"!!

وبعد فهذه جملة مسائل أجتزئ بها عن كثير مما وقع لي أثناء الدرس مما وجدته في الكتب المحققة.

وقفه على كتاب "تذكرة النحاة" لأبي حيّان الأندلسي

عرفت كتاب "التذكرة" لأبي حيّان مما نقل عنه السيوطي في "همع الهوامع، والأشباه والنظائر"، ومما تجمع لديّ من شذرات أخرى قليلة وجدتها عابرة في كتب النحو واللغة المطبوع منها والمخطوط.

وكان الكتاب يُعدّ من كتب أبي حيّان المفقودة، غير أنني قرأت منذ أكثر من سنة في "نشرة التراث" التي يصدرها معهد المخطوطات في الكويت أن كتاب "تذكرة النحاة" لأبي حيّان قد صدر من "مؤسسة الرسالة" ببيروت بتحقيق الدكتور عفيف عبدالرحمن، وهو ممن أعرف وأجلّ.

قلت في نفسي كيف لي أن أحصل على الكتاب في صنعاء فلم أر إلا أن أكتب إلى دار الفكر في عمان وإلى دار عمّار، فلم أحظ منها بشيء، وقلت ألك أن تكتب إلى الأستاذ عفيف تلتمس إليه أن يرسل نسخة... وتقابله على صنيعه بما بين يديك من كتب تقدمها إليه هدية. ولم أفلح فيما عزمت عليه، ولم تجد رسائلي، حتى إذا افتتح معرض الكتب في صنعاء في السادس عشر من شهر تشرين الأول، وجاء الناشر من كل بلد وجدت لدى أحدهم كتاب "التذكرة" في غلاف جميل وورق صقيل فما أدري كيف جاءني الشاهد اللغوي القديم الذي حفظته منذ أيام الطلب وهو قول الراجز:

حِيكْتُ عَلَى نَيْرِينَ إِذْ تُحَاكُ تَخْتَبِطُ الشوكَ وَلَا تَشَاكُ

كنت أود "للتذكرة" هذه في ثوبها الجميل أن "تختبط الشوك ولا تشاك"، وكان يتمّ لها هذا لو أن وراء الغلاف الجميل والورق الأصيل شيئاً من عمل جليل. لا والله، لقد

خاب ظني، فلم أجد ما كنت أري أن يكون، ورثيت لصاحبي الأستاذ عفيف شقاهه
بنسخة فريدة من "الكتاب".

واني لأسعى إلى أن ألتمس لصاحبي الدكتور عفيف وجهاً للعذر فأقول: إن
الإقدام على نشر مخطوط أول مرة عمل عسير لا يقوى عليه إلا أهل الجد، فإذا كان
هذا المخطوط نسخة فريدة، فذلك أعظم العسر. وإذا أضفنا إلى ذلك كله ما يكون من
عبث النساخ أدركنا الجهد المضني الذي يلقاه المحقق.

إن كثيراً من النشر الحسن للكتب هو ما كان نشرًا ثانيًا أو ثالثًا، ومعنى هذا أن
النشر القديم، وهو الطبقات الحجرية، وما نشر في المطابع القديمة كبعض ما نشر
في بولاق والهند وغيرها، قد كان من المواد المفيدة للناشر الجديد الذي يضطلع بأدواته
النافعة في تحقيق الكتاب وإخراجه إخراجاً سريعاً مع فوائد تستفاد من تعليقاته، وما
يضيفه في المقدمة.

لم يكن شيء من هذا لدى صاحبنا، ثم إنه بعد كل ذلك قد أفاد من شجاعته
وحبه للعلم فقويت فيه جرأة محببة فباشر العمل. إنه لم يكن من أصحاب الصناعة
اللغوية والنحوية، ومن لم يكن له من هذا إلا بضاعة يسيرة فإنه يشقى.

وكان في طوق السيد المحقق أن يكون مجتهداً وإن لم يكن من أهل الصناعة
وذلك بالرجوع إلى المواد اللغوية والنحوية التي أثبتتها أبو حيان مأخوذة من كتب
النحويين كتغلب وابن السراج وسيبويه وغيرهم، ولكنه لم يفعل ذلك، وما رضي لنفسه
أن تشقى بهذا العناء.

وبسبب هذا كله كان عمله مفتقراً إلى أن يعود إليه عوداً حميداً فيصلح من
عُواره، وتكون نشرته هذه مسودة جديدة يخرج منها بعد الكد والجد عمل نافع، فهل
ترى صاحبي قد فطن إلى هذا؟

ورأيت من المفيد أن أسجل في هذا الموجز ما كان لي من وقفات على جزء يسير من "الكتاب". وقد تركت عملي في تسجيل ما اعتزمت أن أفعله لأنني وجدت أن الوقفات ستطول، وأن مادة الكتاب محتاجة إلى عمل جديد. ولعل فيما سأعرضه ما يطمئن به الدارس إلى أن العود إلى نشرة جديدة أمر عسير، فالنسخة الوحيدة سيئة، وقد عبث فيها الناسخ. وأنت في هذا الكتاب ربما وقفت في أمر فخطر في ذهنك ما عرض لهذه النسخة من الضيم قد سدّ الطريق على رجل يهوى الصعاب كالأستاذ عفيف.

لقد قدم المحقق الفاضل للكتاب بـ"تقديم" أشار فيه إلى رغبته في التحقيق حين وجد تعليق رئيس قسم المخطوطات الذي أشار فيه إلى أن الكتاب قد اشتمل على نقول كثيرة من كتب لم تصل إلينا.

وقد جاء في هذا "التقديم" قوله:

ولئن كان هذا الجزء الذي أحققه، وهو ما سلم من الضياع، لا يمثل إلا المجلد الثاني من الكتاب الذي يقع في أربعة أجزاء، إلا أن قيمة الكتاب جعلتني أقدم على تحقيقه.

أقول: إني وإن كنت أتمسح في أن يُقدّم لكتاب من تراثنا بلغة جديدة، فلن أوافق على أن يعرض لهذه اللغة ما تخرج به عن الاستعمال الفصيح. إن كلمة "لئن" محتاجة إلى جواب للقسم كقوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد".

وعلى هذا لا يصح أن يكون جواب "لئن" في عبارة المحقق قوله "إلا أن قيمة...".

أقول: وكان ينبغي للمحقق أن يلم في "تقديمه" بكل ما يتصل بأبي حيان، لقد فاته أن كتاب أبي حيان وهو "الشذا في أحكام كذا" مطبوع، وقد حققه في بغداد

الدكتور أحمد مطلوب، ونشره في مجلة كلية الآداب، ثم أعاد نشره مستقلاً. والكتاب رسالة لطيفة.

وقال المحقق في الكتب المنشورة التي نقل عنها:

"الألفاظ والحروف لأبي نصر الفارابي". أقول: "الألفاظ" هو كتاب برأسه، و"الحروف" كتاب آخر برأسه وكلاهما لأبي نصر الفارابي، نشرهما الدكتور محسن مهدي (المطبعة الكاثوليكية ببيروت). وجاء في الكتب التي نقل عنها ولم تصل إلينا: "الزهكال في حصر الحروف المصادر والأفعال" لأبي أسامة جنادة بن محمد اللغوي.

أقول: لم يرد كتاب "الزهكال" في مصادرنا التي أشارت إلى كتب اللغويين والنحاة، ثم إنني لم أقف على مادة "زهكل" في معجماتنا، وأخشى أن تكون الكلمة مصحفة عن كلمة أخرى.

وجاء في هذه الكتب التي أفاد منها أبو حيان: "ونقل أبو حيان من خط أستاذه وشيخه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم...". أقول: إن "الأستاذ" لقب خاص لم يطلق على كل شيخ، فقد عرف ابن سينا بالأستاذ الرئيس، وعرف كافور الأختيدي بالملك الأستاذ، ولم نجد الكلمة إلا في رجال معدودين.

وقلت في أول الكلام إنني لا أطلب من محقق كتاب من كتب التراث أن تكون اللغة التي يقدم بها المحقق لكتابه لغة قديمة، ولم أقل إن العربية المعاصرة غير جائزة في هذا السياق، ولكنني أقف في قبول قول المحقق في الصفحة (م ٣٥):

"حاولت جاهداً ضغط حجم الكتاب بسبب كبر حجم المخطوط". أقول: إن مادة "تذكرة النحاة" تنفر من "ضغط" السيد المحقق لحجم الكتاب. إن كلمة "ضغط" هذه وإن كانت عربية فإننا جننا إليها عن طريق الترجمة من اللغات الغربية الحديثة،

واحتجنا إليها لضرورة علمية. ومن هنا ليس لنا أن نجعلها في مقدمة لكتاب في النحو واللغة.

وجاء في هذه الصفحة أيضاً: "اعتمد المؤلف على الرموز للدلالة على علماء اللغة والنحو الذين يعرض لهم في الكتاب، وقد وضعت جدولاً... يبيّن الرمز وصاحبه. وقد أعيتني بعض الرموز فلم أجد إلى حلها سبيلاً، فتركتها كما هي".

وهذا يعني أن المحقق كدّ ذهنه فوصل إلى دلالة الرمز، وترك ما لم يصل إليه. أقول: فكيف اهتدى إلى ما يدل عليه الرمز، هل رجع إلى أقوال أصحاب الرموز ووقف عليها في كتب أخرى، وفي هذا الحال سيكون الرمز صحيحاً. كيف مثلاً فرّق بين "ع" وهو رمز الشلوبيين، و"ش" وهو رمز الشلوبيين.

نعم: إن المعروف بالشلوبيين اثنان أولهما وهو الأشهر أبو علي عمر بن محمد الإشبيلي المتوفى سنة ٦٤٥، وهو الذي يتردد في كتب المشاركة. وقد ترجم له في "البيغة" ص ٣٦٤، والثاني أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد المالقي المتوفى سنة ٦٦٠هـ، وكلاهما أندلسي. وقد ترجم له السيوطي في "البيغة" ص ٧٩. أقول: كيف ميّز الأول عن الثاني إذا وجد الرمز، ولم يثبت الاسم في نص الكتاب؟ ثم إن قول المحقق: "أعيتني (والأحسن أعياني) بعض الرموز" تشير إلى أنه شقي بهذا فكيف إذن حل هذه المشكلات؟

ولم خصّ "ع" بالشلوبيين، و"ص" بابن عصفور، وكان الطبيعي أن يكون "ع" هو ابن عصفور!!

وكيف اهتدي إلى أن "غا" يعني من تلاميذ الشلوبيين. أذلك من أسرار التحقيق؟! وقال المحقق في الصفحة م ٣٦: "بعض الشواهد لم تسعفني المصادر... في التعرف إلى قائلها... أقول: ولو قال: "بعض الشواهد لم يُسعفني" لكان أحسن ذلك أن "بعض" مفرد مذكر في لفظها، وإن دلت في بعض دلالاتها على الجمع. ثم إن الفعل "تعرف" يتعدى بنفسه، فالصواب: في تعرف قائلها قال الشاعر الجاهلي:

وقالوا تعرّفها المنازل من منى وما كلّ من وافى منى أنا عارفٌ

ثم إن "الكتاب" هو الجزء الثاني من "التذكرة"، إذا كان هذا فلم عدل عن رمز الكسائي ورمز ابن الطراوة، ولكل منهما رمز في جدول الرموز؟

لم يستعمل أبو حيان الرمز لهما في الصفحة (٥) من هذا الجزء الثاني، وصرح باسم كل منهما، قال: "ربّ: حرف جرّ قاله الكسائي وابن الطراوة...".

ويبدأ المؤلف الكلام على "رُبّ" في هذه الصفحة ونقرأ فيه مسائل تتصل بـ"رُبّ" وما جاء فيها من اللغات، ثم يأتي بعد هذا الكلام المفهوم شيء آخر لا نعرفه متصلاً- بـ"رب" وإليك هذا الذي تحيرت فيه:

قال المؤلف: "وربما وقعت خيراً لإِنَّ وأنّ المحذوف ضمير الشأن منها. ومعمولها اسم ظاهر نكرة، ويكون معرباً ومبنيّاً ومضافاً إلى ضمير معمولها، ويقاس على ما سُمع من ذلك وفاقاً للأخفش. وشرط عملها فيه أن لا تباشره "ربّ" بل بالعطف بالواو وكذا كلّ وأيّ وكم وشدّ ربّ أمّه ورُبّ... وربّ واحد أمّه ولا يفصل بينها وبينه خلافاً للأحمر، إذ أجاز أن يفصل بينها بالقسم...!!"

أقول! هل فهم أخي الدكتور عفيف المحقق هذا الخط، وهل يفهم غير المحقق من أهل النحو والعربية هذا الكلام المستغلق، وكيف لا تباشره "رُبّ" مدخولها ويُفصل بينها وبينه بواو العطف... وما معنى قوله: وكذا كل وأي وكم؟! وما معنى قوله: "ومعمولها اسم ظاهر نكرة، ويكون معرباً ومبنيّاً ومضافاً إلى ضمير معمولها؟"

أقول: لم يقل هذا أبو حيان، وإذا كان قد قال شيئاً منه فربما قاله في موضع آخر غير "رب"، وكان من سهو الناسخ إدراج هذا الحشد في موضع ليس منه، وهو الكلام على "رب".

ومن إضافات المحقق في تعليقاته أنه ترجم في الحاشية للكسائي وللأخفش، ولابن منظور، ولابن الطراوة. قد يكون ابن الطراوة ممن لا يعرفه غير المختص، فهو

يقتضي الترجمة، لكن الكسائي والأخفش من المشاهير للمختص وغير المختص فلا حاجة أن يترجم لهما ترجمة غير مفيدة بإيجازها المخل ولا أدري لِمَ لم يذكر صاحبي المحقق مصدراً واحداً في الأقل لكل ترجمة.

ومن الكلام الذي لا يعني شيئاً ولا يتصل بـ"ربّ" من قريب أو بعيد ما جاء في الصفحة (٦):

وأما الفصل بينهما بالجار والمجرور فجاء في الشعر ولا يقاس عليه، وكذا جاء في غيرها! وبالظرف ضرورة وضمير مبهم وليس جرّها إياه بقليل خلافاً لمن أجاز مطابقته للتمييز، وهم الكوفيون... أقول: لا أريد أن أطيل عليك هذا الغناء، أخي الدارس، ذلك أن الكتاب قد حشر بحشد من هذا المستغلق الذي لا تخرج منه بيسير من فائدة. أعانك الله أخي المحقق على ما شقيت به فأشقيت غيرك من الدارسين. وفي هذه الصفحة تجد سيبويه والفارسي والوفشي وابن طاهر وابن خروف، وليس من رمز لأي من هؤلاء مع أن المحقق ذكر لهم رموزاً في جدولته.

لقد ترجم المحقق للأحمر في حاشيته وجعله علي بن المبارك الأخفش وأنا أحمل ورود الأخفش على الخطأ المطبعي. ويأتي في الصفحة (٧) المبرد وابن السراج والفارسي والعبدي والزجاج والخليل والرماني والجزولي ولغدة الأصبهاني وليس من "رمز" لأي من هؤلاء.

وما زال الكلام على "ربّ" المرزوءة بالكلام المستغلق الذي لا يخصها. ولعلّ في بقية من صبر فأشقى في الصفحة (٨) إلى نهاية الكلام في أول الصفحة (٩).. ثم نأتي في الصفحة إلى الكلام على "مذ" و"منذ" فنقرأ فيها: قال اللحياني: "والرفع بعد مذ أكثر من الخفض". أقول: هذا يفهم ولكنه قال بعده: "ومن الرفع بعد "منذ". فما معنى هذه العبارة؟

أقول: سقط منها شيء أفسدها، وتمام العبارة: والرفع بعد مذ أكثر من الخفض، [والخفض أكثر] من الرفع.

وأريد أن أفك، أخي الدارس، على شيء آخر، ولا أريد أن تشقى به كشقائي بل أبسطه أمامك لتعرف أن هذا المخطوط، وإن كان مجلداً وسم عليه أنه الجزء الثاني من "التذكرة"، فهو في عرف أهل صناعة المخطوطات "دشت" أي أوراق غير مرتبة لا يقام عليها حكم.

لقد جاء في هذه الصفحة: وقال الأخفش: منذ لغة أهل الحجاز يجزّون بها كل شيء، ومذ لغة بني تميم وغيرهم، ما بعدها رفع...

أقول: كأن الصواب: ومذ لغة تميم وغيرهم، وبعدها رفع!

ثم يقول الأخفش: وأما عامّة العرب فيجزّون بهما الحاضر، ويرفعون بعدهما الماضي.

كان على المحقق أن يبذل من عمله وجهده بين يدي هذا النص الذي يفتقر إلى إيضاح، ولو أنه فعل هذا لأفاد أكثر من فائدته في ترجمة أعلام ذكرت في كتب الطبقات وكتب الرجال، وفي طوق أي دارس مهما كانت طبقتة أن يرجع إلى هذه الكتب.

ولا أدري كيف يسقط شيء ضروري من النص ولا يفتن له المحقق! ومن هذا ما ورد في الصفحة (١٠) وهو:

"والمعرفة تكونان معه لابتداء الغاية في الزمان بمنزلة (من)...". والوجه هو:
"والنكرة والمعرفة تكونان...".

وتتمة هذا قوله: "والنكرة تدخلان على الزمان الذي وقع فيه ابتداء الفعل وانتهاءه...".

والوجه هو: والمعرفة والنكرة تدخلان على الزمان...".

وما زال الكلام على "مذ ومنذ".

ونأتني إلى الصفحة (١٢) وما زال الكلام على "مذ ومنذ" فنجد فيها قول المؤلف المرزوء بهذه النسخة الفاسدة:

"... فإذا قلت: ما رأيته مذ يوم الجمعة، فقد رأيته في بعضه، ثم فقدته بعد إلى الزمان الذي أنت فيه، وهذا أحد قولي أبي العباس أقول: ومن أين اهتدى المحقق أن أبا العباس هذا هو ثعلب وقد ترجم له في حاشيته.

ثم جاء: "وحكى أبو بكر عن أبي العباس أنه يجوز...".

وذهب المحقق أن "أبا بكر" هذا هو أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري.

أقول: من أين له أن يقطع أن أبا بكر هذا هو الأنباري.

والذي وقفت عليه في كتب اللغة أن الأنباري حين يذكر يقال فيه أبو بكر الأنباري، أو يقال: ذكر محمد بن القاسم (كذا) أو الأنباري. ثم إن أبا بكر هذا لم يؤثر عنه نحو كثير، بل هو صاحب لغة فهو صاحب المذكر والمؤنث، وصاحب السبع الطوال.

والذي أرجحه أن أبا العباس هو المبرد، وأن أبا بكر الذي حكى عنه هو أبو بكر بن السراج، وهو تلميذه.

والذي يقوي هذا الترجيح أن المؤلف أبا حيان يأخذ بآراء البصريين الذين دعاهم "أصحابه"، وهو لا يأخذ بما يقوله الكوفيون، وثعلب والأنباري من الكوفيين.

وينتهي الكلام على "مذ ومنذ" في الصفحة (١٣) ونجد في لصق هذا الكلام قوله: "قال الشاعر" وقول الشاعر بداية لذكر شواهد جاء فيها ما ورد على "فعال" اسم فعل للأمر كحذار، أو علم لأنثى كقطام ولكن هذه الشواهد الشعرية وردت في لصق الكلام على "مذ ومنذ". ولم يفطن المحقق، وكان عليه أن يثبت ما يشير إلى أن باباً جديداً قد بدأ.

ورابع هذه الشواهد ما رواه الأصمعي:

ونشدت حُجراً وابن أم قطام

فقال: و"حجر" هو ابن أم قطام.

وقوله هذا إيذان بكلام جديد ذكر فيه ما جاء على شاكلة "حجر وابن أم قطام"

فيقول:

كما تقول: أتيتك برجلٍ شريف وابن قتيبة، وأنت تريده بعينه، والرجل الشريف

هو ابن قتيبة.

ثم يتحول المؤلف فيقول: أَعَزْتُ على العدو إغارةً وغارة... أقول وكأنه يريد

المصدر واسم المصدر مثل إنبات ونبات، وتسليم وسلام.

ثم يتحول المؤلف إلى باب الأنواء فيقول:

قال ابن كنانة: الوسمي من أنجم الربيع خمسة: العرقوة السفلى ونوؤها أربع

ليال، والحوث نوؤها ثلاث ليال...

أقول: كان ينبغي أن يكون في نص الكتاب: [وهي] خمسة، ولعلها سقطت من

الناسخ ولم يفتن المحقق.

وقد تستغرب أن يأتي كلام على "الأنواء" و"الأنجم" في كتاب جله النحو. وقد

تستغرب أكثر من ذلك حين تجد المؤلف يتحول إلى هذه المواد وليس من رابط أو

صلة ولا أستطيع أن أعزو هذا إلى الاستطراد بل أقول إنه سوء في التأليف. غير أن

أبا حيان لم يصنع شيئاً من هذا في كتبه الأخرى، ومن هنا كان وصفي لهذه النسخة

المخطوطة بما يدعى "دشت" عند أهل هذه الصنعة.

وجاء في لصق خبر "الأنواء" قول المؤلف: قال الشاعر:

ان بني عوفِ ابتوا حسباً ضيَّعه الدُخْلون إذ عذروا

وكان ينبغي أن يفصل هذا البيت عن مادة "الأنواء".

وصحة ضبط البيت أن ينون "عوف" لا يكسر حفاظاً على الوزن، والبيت من "مخلع البسيط".

وشرح "الدُّخْل".

ثم اتبع الشرح من غير إشارة إلى مادة جديدة فقال: وقال:

حتى تركناهم لدى مَعْرِكِ أرجلهم كالخشب الشائلِ

ثم قال: قال الأصمعي: شغل شاغل، وشيب شائب، وموت مائت، وويل وائل، وذييل ذائل... .

أقول: وليس في البيت المتقدم شيء من هذه الموصوفات والصفات، والذي أرجحه أن بيتاً قد سقط جاء فيه "شغل شاغل"، وكان ذلك سبباً لايراد المؤلف لقول الأصمعي.

ثم أتى بالرجز ص ١٥ وهو:

يخضبن بالحناء شيئاً شائباً
والصواب: شيئاً شائباً

ثم تكلم على "النُّعْر"، وهو مادة جديدة لم يفصلها المحقق عن المادة السابقة. وكل هذا مسائل لغوية.

ثم قال في مادة أخرى لم تفصل عن سابقتها:

قال أبو عبيدة: يقال: ناسيماً (كذا) الدمقس، والمدقس كل ثوب أبيض من كتان أو إبريم أو قز.

أقول: لم أعرف ما المراد من "ناسيماً" أمصحفة هي عن "لا سيماً" وإذا كانت هذه فما مؤداها؟، و"المدقس" الثانية صوابها: الدمقس.

وجاء في ص ١٦ :

نؤليني: أي ليُصِبي منك نوال، العثاكيل: الشمايخ...

أقول: ولا بد أن يكون هذا قد ورد في بيت وسقط من النص، ولم يشر المحقق.

ثم جاءت أبيات، ولا تعرف سبب إيرادها ومنها في الصفحة نفسها بيت لدريد ابن الصمة.

ثم يقول: ألقى يده إلى التهلكة، وألقى يده، وطوّح به وطوّحه. والاقبال والأقوال: الملوك.

ولست تدري لم أتى بهذا كله. ثم يأتي في لصفه قول حارثة بن بدر:

كأنني لم أكن شيئاً إذا ما هلكت وقيلَ كان كذا وكانا

ثم يمضي في هذه الصفحة والتي تليها فيذكر أبياتاً يتيمة لا صلة للواحد بالذي يليه.

وجاء في الصفحة (١٨) بيت امرئ القيس:

عارضَ زوراءَ من تشمٍ غيرَ باناتِ على وتّره

و"بانات" هذه هي "بانية" مثل "باداة" في "بادية" وهي لغة طي.

أقول: وصوابها "باناة" لأنها مفرد لا جمع كما توهم المحقق، ومثلها: امرأة كاساة، أي كاسية.

ويستمر المؤلف بورداً أبياتاً يشتمل كل بيت على فائدة خاصة، وليس من رابط بينها.

وهذا كله يومئ إلى أن أصل الكتاب مما لا يمكن أن يكون الأصل الذي كتبه أبو حيان، بل إن هذه النسخة شيء مما بقي من الأصل بعدما دخله الغلط والحذف وما عرض له من السقط والآفات الأخرى.

ويستمر بنا هذا النهج القائم على أبيات مفردات لا صلة بينها فيتحول بعدها إلى كتاب "الزهكال" الذي أشرنا إليه، وينقل صاحب "الزهكال" مادة صوتية عن الخليل ابن أحمد، والكثير منها ورد في باب الإدغام من "كتاب" سيوييه، ومما ورد في مقدمة "كتاب العين".

وجاء في ص (٣٢) حكى البلخي في "سعد" لغتين: ضم السين لغة هذيل وفتحها لغة سائر العرب.

وعرّف المحقق بالبلخي هذا فقال هو أبو زيد أحمد بن سهل عالم فذكر له ابن النديم مؤلفات كثيرة...

أقول: البلخي الذي أشار إليه ابن النديم ليس لغوياً، بل من أهل العلوم.

وجاء في ص (٣٦):

قال أبو الحسن: مَعْنُ يَمَعْنُ مَعَانَةً، وقال أحمد بن يحيى: أَمَعَنَ بَحَقَهُ واذعن وطابق، وحكي عنهم: سألت مُعْنَانَةً فواحد هذا في القياس "معين" كقضيبي وقضبان، وهو مسائل الماء.

أقول: ووجه الكلام: ... وقال أحمد بن يحيى: أَمَعَنَ بَحَقَهُ: أذعن وطابق، وحكي عنهم: سألت "مُعْنَانَهُ"، فواحد هذا في القياس معين... وهو مسائل الماء.

فالمُعْنَانُ جمع معين، والمسائل جمع مسيل، والياء تثبت في الجمع في مسائل لأنها أصلية.

ومن فساد هذا "الكتاب" ما كان من محققه الذي جعل الشيء متصلاً بما سبقه في السطر الواحد، وكان حق الثاني أن يبدأ به كلاماً جديداً من أول السطر.

ومن سوء الرسم ما ورد في ص (٣٧): المَعْدَا والمَشْتَا والمَعْنَا وحققها الرسم بالياء: المعدى والمشتى والمعنى..

ومن غرائب هذا الكتاب إيراده قدراً كبيراً من كتاب المفاحشات الذي جمع أشعاره عاصم بن الحدثان.

وأنت تقرأ هذه الأشعار الماجنة فتسأل نفسك ما علاقة هذا بالنحو واللغة وهما مادة "الكتاب"، أليس هذا عبثاً؟ وإذا كان هذا فهل يكون أبو حيان صاحب هذا العبث؟!

ثم يعود بعد هذا الأشعار إلى النحو ثم إلى اللغة، ثم إلى طائفة من أشعار لا تعرف ما وجه إيرادها يكثر فيها شعر الفرزدق وجرير وجماعة أخرى .

وفي "الكتاب" جملة مجالس النحو واللغة منها مجلس الأصمعي مع المازني، ومجلس الزجاج مع جماعة، ومجلس ثعلب مع جماعة، ومجلس الأخفش الأوسط مع المازني، ومجلس المازني مع الجرمي، ومجلس أبي عمرو بن العلاء مع أبي عبيدة، ومجلس أبي عمرو مع الأصمعي، ومجلس أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مع الكسائي، وطائفة أخرى من المجالس، وفي أغلب صفحات الكتاب استغلاق وخطأ وسهو، ولولا خشية الإطالة، ولا داعي لها، لأتيت عليها.

كلمة أخيرة:

أقول: هذه نبذة يسيرة من هذا "الكتاب" الذي فشا فيه السهو والسقط والنصوص المعدولة عن وجهها، والتزيد والعبث. وإنك لتجد في كل صفحة شيئاً من هذا.

